سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ١ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥
يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٧
لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ٨

سورة الأنفال مدنيّة وآياتها خمس وسبعون آية. والأنفال جمع: نفل، والنفل: هو الزيادة، ولهذا سميت بعض الصلوات: نفلًا؛ لأنها زيادة علىٰ الفروض، وسميت الغنائم: أنفالًا؛ لأنها منحة من الله للمجاهدين زيادة علىٰ أجورهم عند الله في الجهاد.

[١] بدأت السورة بإخباره سبحانه وتعالىٰ عن سؤال الصحابة للنبي ﷺ؛ حيث سألوه عن تقسيم الغنائم، فأمر سبحانه نبيه أن يقول لهم: اعلموا أن تقسيم الغنائم يرجع إلىٰ الله ورسوله؛ فعليكم أن تتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وأن تصلحوا ما بينكم من التشاحن والبغضاء والخلاف، وأن تطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين بالله ورسوله.

ثم جاء الجواب علىٰ سؤالهم عن الأنفال في قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنفال:٤١]، أي: أنه جاء بعد عدة آيات قُدِّمت علىٰ الجواب؛ لأنها أهم وأزكىٰ وأولىٰ؛ حيث بدأت بتصفية الإيمان والإخلاص لله، ثم بالسمع والطاعة، ثم بالثبات عند اللقاء، ثم بتقديم الأمر الذي يُعَزُّ به الإسلام وهو قمع شوكة العدو وكسر هيبته؛ فكل هذا مقدم علىٰ رغبة الغنيمة الباردة وهي العير، ومقدم علىٰ المغنم الذي يؤخذ بعد المعارك، وأيضًا: ليُرِي جل وعلا عباده أن عُدَّةَ العدو وعدده لا تضرهم إذا صدقوا الله في اللقاء بعزيمة المستمد من الله نَصْرَهُ ومُؤازَرَتَهُ لأن النصر من عنده.

[٢] ثم ذكر جل وعلا صفات المؤمنين بالله حقًّا؛ فأخبر أن من صفاتهم: إذا ذُكِر الله عندهم وخُوِّفوا به رقَّت قلوبهم، وانقادوا لأمر الله، ومن صفاتهم: إذا قرئت عليهم آيات من القرآن زادتهم تصديقًا ويقينًا بالله، ومن صفاتهم: أنهم علىٰ ربهم يتوكلون وبه يثقون.

[٣] ثم ذكر جل وعلا أن من صفاتهم: أنهم يقيمون الصلاة ويحافظون عليها في أوقاتها، ويؤدون حقوقها وواجباتها وسننها، ومن صفاتهم: أنهم ينفقون مما أعطاهم عز وجل في طاعته وفي ما يرضيه سبحانه.

[٤] ثم بين جل وعلا أن هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات الطيبة هم المؤمنين صدقًا من غير شك، ثم بين سبحانه أن لهم عند الله منازل رفيعة، ومغفرة ورزقًا كريمًا سرمديًّا، وقبل ذلك رضىٰ الله جل وعلا عنهم.

[٥] بدأ جل علا في الحديث عن غزوة بدر، وقال لنبيه ﷺ: اعلم يامحمد أنه كما أخرجك الله من المدينة إلىٰ بدر بالحق الذي أراده الله؛ فاعلم أن هناك فريقًا من المؤمنين - وهم قلة - كرهوا هذا الخروج وهذا القتال بعد أن دعوتهم إليه.

[٦] وبعد أن أخبر جل وعلا أن بعض الصحابة كرهوا الخروج وقتال كفار قريش؛ أخبر أنهم جادلوا النبي ﷺ في أمر القتال بعد أن بين لهم ﷺ أنهم سوف يُنصرون علىٰ أعدائهم، وسبب جدالهم أنهم يعلمون قوة العدو وتوفر عدته، ثم بين سبحانه أن كراهتهم للقتال مثل كراهة من يساق إلىٰ الموت وهم يشاهدونه أمامهم.

[٧] واذكروا أيها المجادلون يوم أن وعدكم الله علىٰ لسان نبيه ﷺ إحدىٰ الطائفتين: إما طائفة العير القادمة من الشام والمحملة بالأرزاق والأموال، وهي عير أبي سفيان والتي كنتم تودون أن تكون لكم؛ وإما الجهاد والنفير في سبيل الله ليعلوا الحق علىٰ الباطل، ويُنْصَرَ الإسلام وأهله بأمر الله لكم بقتال الكفار، وكسر شوكتهم بالقتال والنصر عليهم.

[٨] ثم أخبر جل وعلا أنه اختار هذا القتال لنبيه ﷺ وصحابته حتىٰ يثبتَ الحقُّ ويزولَ الباطل، ويُعزَّ الله الإسلام وأهله، ويذل الشرك وأهله، ويقضي علىٰ زعمائهم، ولو كره ذلك المجرمون الذين أجرموا في حق الله بالشرك والكفر.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ
رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

[٩] واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم يوم أن قام النبي ﷺ ومعه المسلمون يستغيثون ربهم ويستنجدون به ويلحون عليه بالدعاء أن ينصرهم علىٰ عدوهم؛ فما كان منه جل وعلا إلا أن استجاب لهم، وأمدهم بألف من الملائكة متتابعين، أي: يتبع بعضهم بعضًا.

[١٠] ثم بين جل وعلا أنه ما جعل هذا الإمداد لكم بالملائكة إلا لتستبشر به نفوسكم، وتطمئن به قلوبكم، وإلا فإن النصر بيد الله، وليس بكثرة عَددٍ ولا عُددٍ، واعلموا أن الله عزيز لا يُغالب، حكيم يضع الأشياء في مواضعها.

[١١] واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم يوم أن ألقىٰ عليكم النُّعاس لتشعروا بالأمن والسكينة، ويذهب عنكم الخوف والقلق، وينزل عليكم المطر من السماء لتتطهروا به من الأحداث، ويذهب عنكم وساوس الشيطان، ويشد علىٰ قلوبكم بالصبر وعدم الجزع، ويثبت أقدامكم عند القتال بتليبد الأرض بالمطر؛ حيث كانت الأرض قبل ذلك رملية يصعب المشي عليها.

[١٢] واذكر يانبي الله يوم أن أوحىٰ ربك للملائكة أنه معهم بالتأييد والنصر؛ وأوحىٰ لهم أن يُثَبِّتُوا المؤمنين وَيُشَجِّعُوهُم علىٰ قتال عدوهم، ثم أخبر سبحانه أنه سوف يلقي في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد، فعليكم أن تضربوا رقاب الكفار بلا رحمة أو شفقة، وأن تضربوا أصابعهم؛ لأن الأصابع إذا ضُربت لم يستطع حينها حمل السلاح.

[١٣] واعلموا أيها المؤمنون أن ذلك الذي ذكره جل وعلا من أمر المؤمنين بقتال المشركين؛ لأن هؤلاء المشركين حاربوا الله ورسوله ولم يؤمنوا بشرعه جل في علاه، ثم بين سبحانه أن من يعادي الله ورسوله ويخالف شرعه الله سوف ينتقم منه؛ وله عذاب شديد عند الله يوم القيامة.

[١٤] واعلموا أيها المشركون أن هذا العذاب الذي كتبته الله عليكم من القتل والانتقام هو جزاؤكم في الدنيا، وأما في الآخرة فلكم عذاب شديد في جهنم وبئس المصير.

[١٥] ثم أمر جل وعلا الذين آمنوا بالله ورسوله إذا قابلوا الذين جحدوا دين الله أثناء القتال وكانوا قريبين منهم؛ أن لا يفروا من أمامهم؛ بل عليهم أن يثبتوا في ساحات القتال؛ إلا من أراد أن يخدعهم ويلتف عليهم من خلفهم.

[١٦] وبعد أن نهىٰ جل وعلا عن التولي يوم الزحف بين سبحانه أن من يفر من أمام العدو فقد استحق غضب الله؛ لأنه آثر الحياة الدنيا علىٰ الآخرة، وسوف يكون مسكنه نار جهنم، وبئس هذا المأوىٰ وهذا المصير، ثم استثنىٰ سبحانه من هذا الغضب من كان يريد الهرب ليخدعهم، أو أنه أعد لهم كمينًا، أو أمرًا لصالح نجاح المعركة، أو يريد الانضمام لجماعة أخرىٰ من المسلمين.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن
تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ
وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

[١٧] ولما انهزم المشركون يوم بدر وَقَتَلَهُم المسلمون شرَّ قِتْلة، أخبر سبحانه أنهم لم يقتلوهم بحولهم وقوتهم، ولكن الله أعانهم وقوَّاهم علىٰ ذلك؛ حيث ثبت عن النبي ﷺ أنه دخل عريشًا ورفع يديه ودعا طويلًا، ومن ذلك أنه قال: «**اللهم إن تُهْلِكْ هذه العصابةَ، فلن تُعبد في الأرض**»[1]، ثم ألهمه الله أن يأخذ حفنة من تراب فيرميها علىٰ صفوف المشركين المقاتلين المواجهين للمسلمين في بدر؛ فجعل سبحانه هذه القبضة تعم كل المشركين فما من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فأشغلته عن حاله، فما كان منهم إلا أن ولَّوا مدبرين.

واعلم يانبي الله أنك ما رميت حين رميت قبضة التراب في وجوههم، ولكن الله هو الذي رمىٰ؛ حيث إنه بقدرته أوصلها لكل وجوه المشركين، ثم اعلموا أن هذا القتال الذي كتبه الله عليكم هو لاختباركم أيها المؤمنون، وليرفعكم بهذا الجهاد إلىٰ أعلىٰ الدرجات، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بأحوالكم.

[١٨] واعلموا أيها المؤمنون أن هذا النصر الذي كتبه الله لكم يوم بدر، وهذه الهزيمة التي مني بها المشركون، هو منحة من الله لكم، وإنه سبحانه سوف يخذل مكر الكافرين وكيدهم للإسلام وأهله في مستقبل الأيام حتىٰ يذلوا وينقادوا لدين الله، أو يهلكوا وتكون عاقبتهم في الآخرة العذاب الأليم.

[١٩] لما أُخْبِرَ أبو جهل بنجاة العير وطُلب منه الرجوع إلىٰ مكة أقسم أن لا يرجع إلا بعد أن يُهزم المسلمون وينصره الله عليهم؛ حتىٰ تهابهم العرب، ولهذا خاطب جل وعلا المشركين علىٰ سبيل السخرية فقال: إذا كنتم أيها الكفار تطلبون من الله النصر علىٰ محمد وصحبه، فقد استجاب الله دعاءكم وفتح عليكم بأن نصر المسلمين في بدر، أما أنتم فقد جاءكم الفتح بهلاك رؤسائكم كأبي جهل ومن كان معه من صناديد قريش، ثم قال سبحانه: وإن تتوقفوا أيها الكفار عن الكفر بالله ورسوله والعداء لأولياء الله المؤمنين فهو خير لكم في الدنيا والآخرة، وإن أردتم أن تعودوا للحرب وقتال النبي ﷺ وصحبه، فسوف نعود لهزيمتكم، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئًا مهما كثرت، واعلموا أن الله يؤيد الذين آمنوا به وبرسوله وينصرهم علىٰ أعدائهم الكفار.

[٢٠] ياأيها الذين آمنوا بالله وبرسوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﷺ واستمروا علىٰ هذه الطاعة، ولا تُعْرِضُوا عنه وأنتم تسمعون وتعون ما يقول.

[٢١] ثم أمر سبحانه المؤمنين أن لا يكونوا كالمنافقين الذين إذا سمعوا كتاب الله يُتلىٰ عليهم قالوا: سمعنا، وهم في الحقيقة ما سمعوا سماع إجابة ولا إذعان له؛ بل عصوا ونافقوا.

[٢٢-٢٣] واعلموا أيها المؤمنون أن شر من دب علىٰ وجه الأرض أولئك الكفار الذين صموا آذانهم عن سماع الحق، وأخرسوا ألسنتهم عن النطق به، الذين لا يعقلون عن الله ما ينفعهم ويقدمونه علىٰ ما يضرهم. ثم أخبر سبحانه علىٰ سبيل الفرض والتقدير لو أنه علم في هؤلاء الكفار خيرًا وصلاحًا لأسمعهم مواعظ القرآن، ولكنه جل وعلا علم أنه لا خير فيهم، ولو فرض أن الله أسمعهم لتولوا عنه وهم معرضون عن قبوله كفرًا وجحودًا.

[٢٤] يأمر جل وعلا عباده المؤمنين بالاستجابة لله وللرسول ﷺ؛ فإن فيها حياة القلب والروح، واعلموا أيها الناس أن الله يحول بين المرء وقلبه، يُقَلِّبُ القلوب حيث شاء، ويصرفها أنَّىٰ شاء، يعني: أن الأمر كله بيد الله وهو سبحانه الهادي إلىٰ سواء السبيل، ثم أخبر سبحانه أنه إليه وحده يجمع جميع الخلق يوم القيامة ذلك اليوم الذي لا ريب فيه؛ فيجازي كلًّا بعمله، المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانه.

[٢٥] ثم أمر جل وعلا عباده المؤمنين أن يخافوا عذابه وانتقامه الذي إذا وقع، فإنه لن يخص الظالمين فقط؛ بل سوف يعم الهلاك الجميع الصالح والطالح، ويوم القيامة كل يجازىٰ بعمله؛ فالظالم يهلك بظلمه وعصيانه، والذي لم يَظْلِمَ يهلك لعدم منعه الظالم من الظلم، واعلموا أيها الناس أن الله شديد العقاب لمن تعرض لمساخطه وانتهك محارمه، وجانب رضاه وتقواه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ
فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ذكر جل وعلا فضله علىٰ المؤمنين حينما كانوا مستضعفين في أرض مكة يخافون أن يأخذهم كفار وقريش وغيرهم من الأعداء بسرعة بسبب ضعفهم وقوة أعدائهم، فآواهم الله بأن هيأ لهم مأوىٰ وهو المدينة، وألف بين قلوبهم، وقواهم بالنصر علىٰ الكفار في غزوة بدر، ورزقهم من الطيبات ومنها الغنائم التي غنموها في حروبهم، لعلهم يشكرون الله علىٰ هذه النعم.

[٢٧] ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بترك ما أُمرتم به، وفعل ما نُهيتم عنه، وكذلك لا تخونوا الله والرسول بموالاة أعداء الله من المشركين واليهود والنصارىٰ، وأيضًا لا تخونوا الأمانات التي تكون بينكم وقد ائتمنكم الناس عليها، وأنتم تعلمون أنها خيانة محرمة وعاقبتها وخيمه.

[٢٨] واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم وأولادكم فتنه، أي: اختبار وامتحان لكم، ومعلوم أن الاختبار لا يحمد ولا يذم، وإنما يترتب الحمد أو الذم علىٰ نتيجة الامتحان، واعلموا أن الله عنده خير كثير وثواب عظيم لمن خافه واتقاه وعمل بأوامره واجتنب نواهيه.

[٢٩] ياأيها الذين آمنوا بالله ورسوله إن تخافوا الله وتلتزموا أمره يجعل لكم النصر والفصل بين الحق والباطل، ويكفر عنكم السيئات ويغفر لكم الذنوب والخطيئات، واعلموا أن الله ذو فضل عظيم يتفضل به عليكم في الدنيا بأن ينير بصائركم، وفي الآخرة بجنة عرضها كعرض السماوات والأرض.

[٣٠] واذكر يانبي الله فضل الله عليك لمّا كان الكفار يكيدون لك ويتآمرون علىٰ سجنك أو قتلك أو نفيك، ويحتالون بكل الطرق للتآمر عليك في جنح الظلام، ولكنَّ الله أبطل كيدهم ورده في نحورهم جزاء لهم؛ واعلم أن الله جل في علاه خير من يقدر علىٰ رد كيد ومكر المجرمين الظالمين، ومعلوم أن المكر لا يطلق علىٰ الله إلا مقيدًا بأنه خير الماكرين.

[٣١] ثم أخبر جل وعلا أن هؤلاء الكفار إذا تتلىٰ عليهم آيات القرآن قالوا علىٰ سبيل التكبر والعناد: قد سمعنا ما تقوله يامحمد بآذاننا وفهمنا ما تقول، ولو شئنا لقلنا مثل هذا الكلام، واعلم أن هذا الكلام الذي تتلوه علينا يامحمد ما هو إلا قصص وخرافات سطرها الأولون، وهذا الكلام يقولونه ليضلوا به سفهاءهم، وهو كذب وافتراء؛ لأن الله تحداهم أن يأتوا بمثله فلم يفعلوا؛ بل تحداهم سبحانه بأقل من ذلك بأن يأتوا بسورة من مثله فلم يفعلوا؛ ثم تحداهم بأقل من ذلك بأن يأتوا بآية من مثله فلم يفعلوا، ولذا كان القرآن هو معجزة نبينا محمد ﷺ الخالدة.

[٣٢] واذكر يانبي الله يوم أن دعا كفار مكة الله سبحانه وتعالىٰ، فقالوا علىٰ سبيل السخرية والتهكم: اللهم إن كان هذا الذي يتلوه علينا محمد هو حقًّا من عندك فأنزل علينا حجارة من السماء تهلكنا، أو ائتنا بعذاب مؤلم فظيع.

وهذا الدعاء بهذه الصفة حمق وسفاهة منهم، وهو يعبر عن شدة عداوتهم، وإلا لو كانوا عقلاء ومنصفين لقالوا: اللهم إن كان هذا الذي يتلوه علينا محمد هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

[٣٣] ثم بين جل وعلا سبب إمهاله لهؤلاء المشركين وعدم إجابة دعائهم عندما قالوا: ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ حيث أخبر أنه لم يعذبهم عذابًا يستأصل شأفتهم لأن النبي ﷺ كان بين أظهرهم، ولذ كان وجوده ﷺ بينهم أَمَنَةً لهم من العذاب الشامل والاستئصال الكلي، وهذا إكرام له ﷺ، ثم أخبر سبحانه عن سبب آخر لإمهال الله لهم وعدم تعذيبهم واستئصالهم، وهو استغفار المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم بعد أن هاجر النبي ﷺ للمدينة، ولما خرج المسلمون وهاجروا إلىٰ المدينة عذب الله هؤلاء المشركين في غزوة بدر وغيرها من الغزوات.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ
فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ
انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

[٣٤] وبعد خروجك يانبي الله وخروج المؤمنين من مكة لماذا لا يعذب الله هؤلاء المشركين الذين استحقوا العذاب؟!؛ فقد كانوا يمنعون المؤمنين من الدخول في الإسلام، وكانوا يمنعونهم من حجِّ بيت الله الحرام، ثم بين سبحانه أن هؤلاء المشركين ليسوا أهلًا لأن يكونوا أولياء بيت الله الحرام، وليسوا أهلًا لأن يكونوا أولياء لله تعالىٰ، بسبب كفرهم وضلالهم، وإنما الذي يستحق هذه الولاية هم المتقون الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، ولكن أكثر هؤلاء الكفار لا يعلمون الحق بسبب جهلهم وضلالهم وكفرهم.

[٣٥] ثم أخبر جل وعلا أن هؤلاء المشركين ما كانت عبادتهم ودعاؤهم وهم يطوفون حول الكعبة المشرفة إلا صفيرًا وتصفيقًا، وبسبب ذلك فذوقوا أيها المشركون العذاب في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بالنار، بسبب جحودكم وكفركم بالله ومحاربتكم لأوليائه.

[٣٦] يخبر جل وعلا أن الذين كذَّبوا بآيات الله ورسوله ينفقون أموالهم لمحاربة الله ودينه، وذلك بمنع الناس عن الإيمان بالله ورسوله؛ فسوف ينفقونها ثم تكون عليهم ندامة شديدة ثم يهزمهم المؤمنون، واعلموا أن الذين جحدوا دين الله سوف يجمعهم الله في جهنم وبئس المصير.

[٣٧] واعلموا أن هؤلاء الذين جحدوا دين الله، وأنفقوا أموالهم لمنع الناس من الإيمان بالله ورسوله، سوف يحشرهم الله ويخزيهم يوم القيامة؛ ليميز تعالىٰ الخبيث من الطيب، ويجعل الخبيث بعضه فوق بعض متراكمًا، ثم يجعله في نار جهنم، وهؤلاء الكفار الذين عاشوا كفارًا وماتوا كفارًا هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

[٣٨] وقل يانبي الله لهؤلاء الذين جحدوا دين الله: إن انتهيتم عن الشرك والكفر بالله وآمنتم بالله ورسوله ﷺ؛ فإن الله سوف يغفر لكم ما سبق من أعمالكم السيئة، أما إذا اسْتَمْرَرْتُم علىٰ كفركم وضلالكم ومحاربتكم لدين الله؛ فاعلموا أن سنه الله معروفة في أعدائه وهي نزول العذاب بهم.

وهذا تلطف وكرم منه سبحانه؛ حيث فتح بابه للتائبين مهما كبرت جرائمهم.

[٣٩] ثم أمر جل وعلا عباده المؤمنين أن يقاتلوا المشركين الضالين إذا استمروا في كفرهم وعدوانهم ومحاربتهم لدين الله، حتىٰ لا يعلوا الكفر وأهله، ويكون دين الله هو العالي والسائد، وله الأمر والنهي؛ ثم بين سبحانه إذا انتهىٰ المشركون عن الشرك والكفر فإن الله بما يعملون بصير لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالهم وسيجازيهم عليها إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

[٤٠] ثم أخبر جل وعلا أنه إن أعرض هؤلاء المشركون عن الإيمان بالله ورسوله؛ واستمروا في كفرهم وضلالهم، ومحاربتهم لدين الله؛ فاعلموا أيها المؤمنون أن الله متولي أموركم، وهو سبحانه نعم المولىٰ، ونعم الناصر والمعين والحفيظ لكم.

۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن
كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ
يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١ إِذۡ
أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ
أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ
وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ
هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ
وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣ وَإِذۡ
يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ
فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ
فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥

[٤١] يخبر جل وعلا عن جواب السؤال الذي جاء في أول السورة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾؛ فيقول سبحانه: واعلموا أيها المؤمنون أن أموال الغنيمة التي حصلتم عليها من عدوكم بجهادكم في سبيل الله، فإنها تقسم إلىٰ خمسة أخماس: أربعة أخماس للمجاهدين الذين حضروا المعركة، أما الخمس الباقي فإنه يجزأ إلىٰ خمسة أقسام:

الأول: لله وللرسول ﷺ فيُجعل في مصالح المسلمين.

والثاني: لذوي قرابة الرسول ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب؛ حيث جعل لهم قسم من الخمس بدلًا من الزكاة، لأنها لا تحل لهم.

والثالث: للأيتام وهم الذين مات آباؤهم دون سن البلوغ.

والرابع: للمساكين الذين لا يملكون ما يسد حاجتهم.

والخامس: للمسافر الذي انقطعت به النفقة.

ولا يقوم بهذه القسمة إلا من آمن بالله وصدَّق بما أُنزل علىٰ محمد ﷺ من الآيات والمدد والنصر في اليوم الذي فرَّق الله به بين الحق والباطل وهو يوم بدر؛ حيث الْتَقَىٰ فيه جمع المؤمنين وجمع المشركين، واعملوا أن الله علىٰ كل شيء قدير؛ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٤٢] وتذكروا أيها المؤمنون يوم أن نزلتم بجانب الوادي الأقرب للمدينة ونزل الكفار في الجانب الأبعد من المدينة، والعير التي خرجتم لطلبها أسفل منكم مما يلي ساحل البحر، ولو تواعدتم أنتم وإياهم علىٰ موعد محدد لاختلفتم في الميعاد، ولكن الله جمعكم علىٰ هذه الحال ليقضي أمرًا كان مقدورًا؛ ليهلك من هلك علىٰ بصيرة وعلم أنه باطل، ويحيا المؤمنون عن حجة بينة وهي نصر الله، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم عليم بأحوالكم.

[٤٣] وتذكر يانبي الله يوم أن أراك الله في منامك قلة عدد جيش المشركين؛ فلما أخبرت المؤمنين اطمأنوا وقويت عزائمهم، ولو أراك الله أن عددهم كثير وأخبرت المؤمنين بذلك لجبُنوا واختلفوا في أمر قتالهم، ولكن الله سلم بما أراك في منامك، فإنه سبحانه عليم بمكنونات القلوب وما خفي فيها.

[٤٤] وتذكروا أيها المؤمنون يوم أن قلل الله أعداءكم في أعينكم لتزول هيبتهم من نفوسكم، وتقوىٰ عزائمكم؛ فتنهالوا عليهم بالنبال والسيوف، وقلل سبحانه المسلمين في نفوس الكفار ليأخذهم الغرور فيغتروا ويستهينوا بخصمهم، فأدار الله المعركة لصالح المؤمنين، وتم بحمد الله نصرهم علىٰ عدوهم، واعلم أن هذا الذي حدث لكي يقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وهو تحقيق وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين، واعلموا أيها الناس أن لله وحده ترجع جميع الأمور؛ فيجازي كلًّا بما يستحق، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله عند تفسير هذه الآية عندما كان يُدرسنا في كلية الشريعة، وذلك قرابة عام ١٣٧٤هـ، قال: من أراد أن يعرف سر القدر فليقرأ هذه الآيات، أي: من الآية ٤٢ إلىٰ الآية ٤٤، ولم أجد هذا الكلام في تفسيره المعروف بـ (أضواء البيان).

[٤٥] وهذا نداء وأمر من الله جل وعلا لعباده المؤمنين المجاهدين؛ إذا التقوا مع جماعة من الكفار لمحاربتهم فعليهم أن يثبتوا ولا يجبُنوا، وأن يكثروا من ذكر الله تعالىٰ؛ لكي يفوزوا برضىٰ الله وجنته ونصره.

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ثم أمر جل وعلا المؤمنين بطاعة أمر الله وأمر رسوله ﷺ، وأن لا يختلفوا فيما بينهم فيضعُفوا ويجبُنوا وتذهب قوتهم، وأن يصبروا عند لقاء عدوهم وتحمل المشاق والمكاره؛ فإن الله مع الصابرين يؤيدهم بعونه ويقويهم بتأييده، ولن يخذل سبحانه عباده المؤمنين المجاهدين.

[٤٧] ثم حذر جل وعلا المؤمنين أن يكونوا كالمشركين الذين خرجوا من مكة إلىٰ بدر بكبرياء وتفاخر وعتوٍّ وتجبر ورياء، ليمنعوا الناس عن الدخول في الإسلام، والله عالم بكل أفعالهم ومطلع عليها وسيجازيهم عليها.

والمتتبع للآيات الثلاث السابقة يجد أن الله علق الفوز والنجاح علىٰ عدة أمور:

أولًا: الاستمرار علىٰ ذكر الله تعالىٰ كثيرًا والتماس نصره.

ثانيًا: الثبات في المعركة، وهو الصبر والمصابرة.

ثالثًا: طاعة الله تعالىٰ في كل ما أمر.

رابعًا: امتثال أمر الرسول ﷺ في جميع الأحوال.

خامسًا: عدم التنازع والاختلاف.

سادسًا: عدم البغي والبطر.

[٤٨] وتذكر يانبي الله حين زين الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم؛ وحثهم علىٰ قتال المسلمين؛ حيث أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد كنانة، وقال لهم: لن تغلبوا اليوم من المسلمين، وإني بجانبكم، ولن أترككم؛ فلما التقىٰ الجيشان المسلمون والكافرون، ورأىٰ الشيطان أن الملائكة تقاتل مع المسلمين رجع علىٰ عقبيه؛ فقالوا له: أتخذلنا علىٰ هذه الحال؛ فرد عليهم قائلًا: إني بريء من جواركم، إني أرىٰ ما لا ترون، إني أخاف أن يهلكني الله، إن الله شديد العذاب.

[٤٩] وتذكروا أيها المؤمنون حين قال المنافقون وأصحاب القلوب المريضة: لقد اغتر هؤلاء المؤمنون بدينهم وظنوا أنهم سوف ينتصرون، وهذا الكلام صدر من رأس المنافقين، ومعه جماعة من المنافقين وضعيفي الإيمان، وذلك لما علموا عِدَّة الكفار وعددهم فهالهم ذلك، وقالوا - واصفين الرسول ﷺ والمؤمنين-: إنَّ تمسكهم بهذا الدين هو الذي غرَّهم وحملهم علىٰ القتال، فأجاب الله عن رسوله ﷺ وعن المؤمنين فقال: اعلموا أن من يتوكل علىٰ الله ويعتمد عليه ويفوض أمره إليه فإنه سوف يكون قويًّا لا يذل أبدًا؛ وأن الله مؤيده وناصره؛ لأن الله عزيز لا يغلبه أحد، حكيم يضع الأمور في مواضعها المناسبة، ويفعل بحكمته ما تستبعده العقول؛ فالحمد لله الذي أعزَّ عباده المؤمنين، وكَبَتَ الكفار والمنافقين.

[٥٠] يخبر جل وعلا نبيه ﷺ فيقول له: لو عاينت يا نبي الله حال الكافرين الذين قتلوا ببدر حين تأخذ الملائكة أرواحهم، وهم يضربون وجوههم وظهورهم، ويقولون لهم: ذوقوا أيها الكفار عذاب الدنيا الأليم؛ لرأيت أمرًا عظيمًا لا يمكن أن يطاق من شده هوله وفظاعته.

[٥١] واعلموا أيها الكفار أن هذا العذاب الذي جاءكم بسبب ما قدمته أيديكم من الكفر والجحود والذنوب والمعاصي التي ارتكبتموها، وإنه جل وعلا ليس بظلام لأحد من خلقه، ولعذاب الآخرة أشد وأنكىٰ.

[٥٢] واعلموا أيها الكفار أن ما نزل بكم من العقاب هو سنة الله في المجرمين من الأمم السابقة؛ كأمثال فرعون ومن قبله من الأمم الذين كفورا وجحدوا آيات الله وعاندوا الرسل؛ فأهلكهم الله في الدنيا بسبب ذنوبهم، إن الله قوي البطش شديد العقاب، وإن أخذه أليم شديد في الدنيا والآخرة.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ كَدَأۡبِ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٥٤
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ
٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ
مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم
مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ
خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ
٥٨ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ
٥٩ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ
تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ
لَا تَعۡلَمُونَهُمۡ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ
فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١

[٥٣] واعلموا أيها الناس أن ذلك العذاب والعقاب الذي حل بهؤلاء المشركين؛ هو من عدله سبحانه فيهم؛ حيث اقتضت حكمة الله أن لا يغير نعمة أنعم بها علىٰ قوم كالأمن والرخاء والخيرات؛ حتىٰ يغيروا هم ما بأنفسهم بأن يكفروا ويظلموا ويرتكبوا الذنوب والمعاصي، وعندئذ يغير الله تلك النعم بنقم لعلهم يهتدون ويؤمنون بالله ورسوله، وإذا لم يهتدوا فسوف يحل بهم عذاب الله الشديد، إن الله سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم.

[٥٤] واعلم يانبي الله أن هؤلاء الكافرين الذين يحاربونك مثلهم كمثل آل فرعون الذين كذبوا بموسىٰ عليه السلام، وكمثل الذين كذبوا رسلهم من الأمم السابقة فأهلكهم الله جميعًا بسبب كفرهم وجحودهم وذنوبهم، وأغرق آل فرعون في البحر، وكل هذه الأمم التي كذبت رسلها كانوا ظالمين لأنفسهم بمخالفتهم أمر الله وأمر رسوله ﷺ.

[٥٥] يخبر جل وعلا أن أشرَّ من دب علىٰ الأرض عند الله هم الكفار، الذين كفروا بالله ورسوله واستمروا علىٰ كفرهم وضلالهم.

والدواب: هي كل ما يدب علىٰ الأرض من مكلفين وغير مكلفين، كالبهائم وغيرها؛ فجعل سبحانه وتعالىٰ كل الكفار والمنافقين وجميع الضلال من أصحاب الفرق الضالة أشر هذه الدواب؛ لأن الدواب الغير مكلفة تسبح الله ليلًا ونهارًا، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤].

ثم بين سبحانه أنه جزاءً لهم علىٰ عنادهم وإصراهم علىٰ الكفر والضلال، فإنه لا يمكن لهم أن يؤمنوا بالله وبرسوله أبدًا.

[٥٦] ثم ذكر جل وعلا أن من أولئك الأشرار يهود بني قريظة الذين عَقَدْتَ معهم يامحمد العهود والمواثيق بأن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك أحدًا، ولكنهم كانوا ينقضون العهود المرة تلو المرة، لأنهم لا يخافون الله، ولا يخافون عذابه.

[٥٧] ثم بين جل وعلا ما يجب علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ المؤمنين فعله حول الذين ينقضون عهودهم، فقال سبحانه: فإذا ظفرت بعدوك وأحطت به فاجعله عبرة لغيره حتىٰ يُصاب أمثالهم بالرعب والرهب ويكفوا عن نقض العهود، ولعلهم يتعظون.

[٥٨] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ -إذا أحسَّ أو ألمَّ بنفسه ما يتوقع غدرًا ونقضًا للعهد الذي بينه وبينهم-؛ أن يخبرهم أنه لا عهود بينه وبينهم حتىٰ يتساوىٰ الطرفان هو وهم بأنه لا عهد بين الطرفين ليأخذ كل فريق حذره، والمبرر لذلك: أن الله لا يحب من يخون الأمانة وينقض العهود.

[٥٩] ثم سلىٰ جل وعلا نبيه ﷺ فقال له: ولا يظن هؤلاء الكفار الذين نجوا من القتل يوم بدر أنهم قد أفلتوا من عقابنا وعذابنا؛ فليعلموا أنهم لن يعجزوننا في إدراكهم، ولكن لهم وقت معلوم سيأتي في الوقت المناسب.

[٦٠] ثم أمر جل وعلا المؤمنين بالاستعداد بالقوة التي تشتملُ السلاحَ والخيلَ لإرهاب أعداء الله وأعداء الإسلام الذين ظهرت عداوتهم، وأيضًا لإرهاب أعدائهم الآخرين من المنافقين وغيرهم الذين لم تظهر عداوتهم، لكن الله يَعْلَمُهُم ويَعْلَم مكرهم وكيدهم للإسلام وأهله، فإنَّ مَدَدَ الله يأتي بعد بذل الجهد والصدق في اللقاء ومواجهة الأعداء، واعلموا أن كل ما تبذلونه أيها المؤمنون في سبيل الله من المال والجهد قليلًا كان أو كثيرًا؛ فإنه محفوظ لكم عنده سبحانه، وسوف يدخر لكم ثوابه في الآخرة، وأنتم لا تنقصون من ثوابه شيئًا.

[٦١] ثم بين جل وعلا لنبيه ﷺ إذا مال هؤلاء الكفار إلىٰ الصلح وعدم الحرب فمل معهم للصلح، وعاهدهم علىٰ ذلك إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين، وفوض أمرك إلىٰ الله وثق به، إنه سبحانه سميع لأقوالكم عليم بأفعالكم.

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ
بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ
صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ
أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ
ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ
مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ
مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩

[٦٢] ثم بين جل وعلا لنبيه ﷺ إذا أراد هؤلاء الكفار بهذا الصلح أن يخدعوك لكي يعدُّوا العدة لحربك؛ فاعلم أن الله سوف يكفيك كيدهم، ويحفظك من مكرهم، فهو الذي أعانك ونصرك من قبل يوم أن كنت ضعيفًا، وقواك وشد أزرك بالأنصار.

[٦٣] ثم أخبر جل وعلا أن هؤلاء الأنصار الذين شد أزرك بهم جمع الله قلوبهم علىٰ المحبة بعد أن كانوا متفرقين ومتنافرين، واعلم يامحمد لو أنفقت جميع ما في الأرض من الأموال حتىٰ تجمع بينهم لما استطعت إلىٰ ذلك سبيلًا، ولكن الله هو الذي جمع بين قلوبهم، إنه تعالىٰ عزيز قوي لا يغالبه أحد، وحكيم في تدبير شئون عباده.

[٦٤] هذا وعدٌ من الله جل وعلا لنبيه ﷺ أن الله وحده كافيك وكافي أتباعك من المؤمنين، ومن كان الله معه فإنه لا يحتاج لأحد من المخلوقين.

[٦٥] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يحرض المؤمنين علىٰ القتال، لكي يفوزوا بإحدىٰ الحسنيين: إما النصر أو الشهادة، واعلموا أيها المؤمنون أنكم إذا كان منكم عشرون صابرون عند القتال فإنهم يغلبوا مائتين من الكفار، وإذا كان منكم مائة صابرة فإنهم يغلبوا ألفًا من الكفار؛ لأنهم قوم لا يفهمون ولا يعلمون ما يجب عليهم من حق الله.

[٦٦] ثم ذكر جل وعلا فضله علىٰ المؤمنين المجاهدين؛ فبين أنه يسّر عليهم الأمر؛ لأنه علم أن فيهم ضعفاء لا يقوون علىٰ قتال هذا الجمع الكبير، فإذا كان منكم أيها المؤمنون مائة فإنهم يغلبوا مائتين من الكفار، وإذا كان منكم ألفٌ فإنهم يغلبوا ألفين، كل ذلك بأمر الله وإرادته، واعلموا أن الله مع الصابرين بنصره وعونه وتأييده.

[٦٧] عاتب جل وعلا نبيه ﷺ والمؤمنين علىٰ أخذ الفداء من الأسرىٰ، وبين أن الأسر وأخذ الفداء لا يكون إلا بعد أن يبالغ في الجهاد وينتصر، وتقوىٰ شوكة المسلمين، ويكسبوا أكثر من موقع، وتهابهم الدول وتحترمهم؛ فحينئذ تتفضل علىٰ الأسرىٰ بالعفو أو أخذ الفداء.

ثم قال سبحانه: هل تريدون أيها المؤمنون بأخذكم الفداء من الأسرىٰ متاع الدنيا الزائل؟!، والله يريد لكم العزة والغلبة، واعلموا أن الله عزيز في ملكه كامل العزة، حكيم يبتلي بعض عباده ببعض.

[٦٨] واعلموا أيها الناس أنه لولا حكم من الله سبق به القضاء والقدر بالإذن لهذه الأمة لأخذ الغنائم والفداء؛ وأنه لا يعذب المخطئ المجتهد؛ لأصابكم عذاب عظيم؛ بسبب ما أخذتم من الغنيمة والفداء قبل أن ينزل بشأنها تشريع من الله؛ لأن الغنائم كانت في الأمم السابقة تُحرق.

[٦٩] وبعد أن عفا جل وعلا عن المؤمنين فيما وقعوا فيه من أخذ الفداء من الأسرىٰ؛ أباح لهم سبحانه الأكل من الغنائم وفداء الأسرىٰ التي حصلوا عليها؛ وأمرهم أن يأكلوها حلالًا طيبًا من عنده سبحانه، ثم أمرهم أن يخافوا الله تعالىٰ ويجتنبوا معاصيه، إنه جل في علاه غفور لمن تاب وأناب، رحيم بعباده المؤمنين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ
مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ
وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ
وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ
بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥

[٧٠] يأمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يقول لمن في ملكه من الأسرىٰ الذين دفعوا لكم الفدية ثم أُطلق سراحهم: لا تحزنوا علىٰ ما أخذ منكم من الفداء، فإنْ علم الله أنَّ في قلوبكم إيمانًا بالله، وإخلاصًا له وللمؤمنين فسيعوضكم في الدنيا خيرًا مما أُخذ منكم من الفداء، ويغفر لكم ما تقدم من ذنوبكم، إنه سبحانه غفور لعباده الذين تابوا رحيم بهم.

[٧١] ثم حذَّر جل وعلا هؤلاء الأسرىٰ إذا أرادوا خيانة النبي ﷺ بعد أن فك أسرهم وأظهروا الإسلام، فاعلم يانبي الله أنهم قد خانوا الله من قبل، وحاربوك؛ فأمكنك الله من النصر عليهم يوم بدر، والله عليم بما تكنه صدورهم، حكيم في تدبير شئون عباده.

[٧٢] يخبر جل وعلا أن الذين آمنوا بالله ورسوله وهاجروا إلىٰ بلد الإسلام، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وهم الصحابة رضي الله عنهم الذين هاجر بعضهم إلىٰ المدينة مع رسول الله ﷺ، وبعضهم هاجر قبله ﷺ، والذين أووا المهاجرين ونصروهم وهم أهل المدينة الأوس والخزرج؛ حيث استقبلوا الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وواسوهم في سكنهم، وآخوهم وناصروهم وجاهدوا معهم؛ فهؤلاء بعضهم نصراء بعض في المحبة والنصرة والجهاد والمؤاخاة، وقد أخبر سبحانه أن هؤلاء الذين هاجروا وجاهدوا والذين أووا ونصروا هم المؤمنون حقًّا كما قال تعالىٰ في الآية التالية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾، أما الذين آمنوا لكنهم بقوا في دار الكفر ولم يهاجروا فلستم مكلفين بحمايتهم ونصرتهم حتىٰ يهاجروا، لكن إذا طلبوا منكم النصرة بعد أن وقع عليهم ظلم من الكفار؛ فيجب عليكم نصرتهم، لكن إذا كان بين المسلمين والكفار عهد فلا يجوز لكم أن تخونوا العهد، والله بصير بأعمالكم وسيجازيكم عليها، وسوف ينصر المستضعفين إذا شاء.

[٧٣] ثم أخبر جل وعلا أن الذين كفروا بالله ورسوله بعضهم نصراء بعض، أما المؤمنون فقد حذرهم سبحانه إذا لم ينصر بعضهم بعضًا فسوف تحصل في الأرض فتنة عظيمة، وفساد كبير، وذلك بصد المؤمنين عن دين الله، وتقوية الكفر وأهله.

[٧٤] ثم ختم جل وعلا السورة بذكر مآثر صنفين من المهاجرين والأنصار؛ فأخبر سبحانه أن الذين آمنوا بالله ورسوله وهاجروا من بلاد الكفر إلىٰ بلاد الإسلام، تاركين ديارهم وأموالهم، وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، والذين أووهم ونصروهم وواسوهم بالمال والتأييد؛ هؤلاء هم المؤمنون الصادقون حقًّا في الدين ونصرة الإسلام، وأخبر سبحانه أن هؤلاء الذين سبق ذكرهم لهم مغفرة لذنوبهم، ورزق واسع كريم في الدنيا والآخرة.

[٧٥] ثم ذكر جل وعلا الصنف الثالث وهم: الذين آمنوا بالله ورسوله من بعد أولئك المهاجرين والأنصار، ثم هاجروا وجاهدوا معكم في سبيل الله؛ فهؤلاء منكم أيها المؤمنون في الإخاء والنصرة والموالاة، ثم بين سبحانه أن أولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في التوارث في حكم الله، إن الله بكل شيء عليم، يعلم ما يصلح العباد وما ينفعهم.

وأولو الأرحام عند الفرضيين هم أقرباء الرجل من جهة أمه، وعند العموم هم أقرباء الرجل من كل الجهات؛ سواء كانوا أعمامًا أو أخوالًا، وهذا هو المقصود بالآية.

وقد كانت المؤاخاة في الإرث أول الهجرة ظرفًا استثنائيًا؛ فلما انتصر المسلمون وتحسنت أوضاعهم نُسخت المؤاخاة في الإرث فقط، ونزل قول الله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.